

محنة اوبنهايمر ... أبو القنبلة الذرية

ولد جوليوس روبرت اوبنهايمر (١٩٠٤ - ١٩٦٧م) في مدينة نيويورك لأبوين ثريين يهوديين من أصل ألماني ، كان أبوه تاجراً ثرياً يعمل في مجال استيراد الأقمشة ، أما والدته فكانت رسامة ، ولقد سمح ثراء العائلة بإقتناء لوحات لفنانين عالميين أمثال فان جوخ وبول سيزان وبول جوجان زينت جدران المنزل ، حيث عاش الصغير روبرت .

في عام ١٩٢٢ التحق اوبنهايمر بجامعة هارفارد ، وأدرج في برنامج الدراسات المكثفة التي شملت الرياضيات والعلوم والفلسفة والديانات الشرقية والآداب الفرنسية والإنجليزية ، لكنه أحب الكيمياء أكثر من أى مادة أخرى لأنها (أصل كل شئ) .

وفي عام ١٩٢٥ تخرج بامتياز مع مرتبة الشرف وتقدم اوبنهايمر بطلب للدراسة مع العالم (إيرنيست رذرفورد) في مختبرات كافينديش في كامبردج في إنجلترا ، إلا أن الأخير كان يعتقد أن اوبنهايمر غير مؤهل للدراسة معه كطالب باحث ، فحواله إلى المدرسة في مستوى أقل حيث كان عمله يتلخص في تحضير (أفلام البيريليوم) وهو العمل الذي كان اوبنهايمر يراه مملأً للغاية .

ولقد دفعه رفض رذرفورد له كباحث إلى دراسة الفيزياء النظرية ،

فالتحق في عام ١٩٢٦ بجامعة (غوتينجن) في ألمانيا ، ونال شهادة الدكتوراه في شهر مارس عام ١٩٢٧ .

بعد ذلك انضم إلى الهيئة التدريسية في جامعة كاليفورنيا في بيركلي ، ومعهد كاليفورنيا للتكنولوجيا ، وبذل جهوداً جبارة لتأسيس معهد (ويست كوست) للفيزياء المتقدمة ، وهو المعهد الذي أصبح لاحقاً واحداً من أهم المعاهد في الولايات المتحدة .

في ثلاثينيات القرن العشرين اقحم اوبنهايمر نفسه في عالم السياسة ، حيث بدأت ميوله السياسية اليسارية في التبلور ، مدفوعاً في ذلك ربما بسببين هما ظهور النازية في ألمانيا والكساد العظيم الذي أصاب الولايات المتحدة في تلك الفترة ، ولم يتردد في الإعراب عن تعاطفه علناً مع الحركات اليسارية في الولايات المتحدة ، وتحديداً تلك ذات الصلة بالحزب الشيوعي الأمريكي ، حيث كان يقدم لها تبرعات سنوية ، وهو الأمر الذي تسبب له في مشكلات أمنية عديدة عندما التحق بمشروع (القبلة النووية).

وفي شهر أغسطس من عام ١٩٤٢ تولى الجيش الأمريكي المسؤولية كاملة لإنتاج القنبلة الذرية ، وهو المشروع الذي أصبح يعرف باسم (مشروع مانهاتن) وأصبح الجنرال ليسلى غروفر مديراً للمشروع ، فاستقر رأى غروفر على اوبنهايمر لإدارة البرنامج العلمي للمشروع ، وعينه مديراً للمختبرات المركزية لتصميم وتطوير القنبلة الذرية ، وذلك لأنه (عبقري) على حد وصف غروفر له.

في عام ١٩٤٣ اختار غروفر واوبنهايمر موقعاً لإقامة مختبر جديد للمشروع ، وكان الموقع المختار هو الهضبة الواسعة في نيومكسيكو ، وأصبح الموقع يعرف باسم مختبر أسلحة (لوس الاموس) السري ، وعلى الفور بدأ

اوبنهايمر فى استقطاب كادر مؤهل من العلماء الذين يجمعون بين الكفاءة والنشاط والموهبة ،والذين لا تزيد أعمارهم عن ٢٥ عاماً .

بحلول شهر يوليو من عام ١٩٤٥ أصبح مختبر (لوس الاموس) جاهزاً لإجراء أول اختبار تفجير نووى . وبعد ثلاثة أيام من إلقاء القنبلة الأولى المعروفة باسم (الصبى الصغير) على مدينة هيروشيما والثانية المعروفة باسم (الرجل البدين) على مدينة ناجازاكي استسلمت اليابان .

احتقل اوبنهايمر بانتهاء الحرب وبنجاح (مشروع مانهاتن) ولكن العدد الكبير من القتلى والجرحى والتشوهات نتيجة الإصابة بالإشعاع الذرى الناجم عن القنبلتين أثر فى نفسه كثيراً ، وجعله يشعر بندم بالغ ، فأبلغ المسؤولين الحكوميين بأن معظم العلماء فى المشروع لن يواصلوا عملهم ، وقال للرئيس هارى ترومان : (أشعر بأن يدي ملطختان بالدماء) فرد ترومان قائلاً : (لا تهتم ستزول الدماء عندما تغسلهما) وفى شهر أكتوبر من العام نفسه قدم اوبنهايمر استقالته من منصبه كمدير لمختبر (لوس الاموس).

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية حصل اوبنهايمر على اعتراف وتقدير الأمة الأمريكية بوصفه (أبو القنبلة الذرية) وتمت ترقيته بعد استقالته من المشروع إلى مستشار علمى للحكومة الاتحادية ، ولكن على الرغم من منصبه الكبير هذا ، فقد كان يضغط بقوة من أجل التوصل إلى آلية لتحقيق رقابة دولية على الطاقة الذرية ، ولذا تم تعيينه رئيساً للهيئة الاستشارية العامة للجنة الطاقة الذرية .

وفى ١٧ يناير ١٩٥٢ فجر الأمريكيون أول قنبلة هيدروجينية فى مياه المحيط .

وتمسكاً بموقفه انسحب من رئاسة اللجنة الاستشارية للطاقة الذرية ،

وقرر التفرغ لعمله في جامعة برنستون ، لتبدأ الدراما السياسية الرهيبة التي عرفت باسم " مسألة اوبنهايمر " .

في ديسمبر ١٩٥٣ تسلّم اوبنهايمر وهو في معمله بجامعة برنستون خطاباً من لجنة مجلس الشيوخ الأمريكي يتضمن أربعة وعشرين إتهاماً!! ، وكانت خلاصة هذا الاتهامات أنه ليس صالحاً للعمل في لجنة الطاقة الذرية الأمريكية ، وأنه قد تقرر بناء على ذلك سحب الترخيص الذي كان ممنوحاً له بالاطلاع على الوثائق السرية للجنة .

وأحيل اوبنهايمر للمحاكمة واستمرت المحاكمة من ١٢ أبريل إلى ٦ مايو ١٩٥٤ ونشرت وناقها بعد ذلك في تقرير كبير بعنوان (حول مسألة اوبنهايمر) وأدانت اللجنة أبو القنبلة الذرية باعتباره خطراً على أمن الولايات المتحدة .

ولأن المحاكمة كانت في فترة اشتعال المكارثية فقد كانت كل الاتهامات التي وجهت إلى اوبنهايمر باستثناء الاتهام الأخير تتعلق باتصالاته قبل الحرب بعناصر ومنظمات يسارية أمريكية ، ومع أنه لم ينكر هذه الاتصالات ورغم أن الجنرال (ليزلى جروتز) عندما اختاره للعمل معه خلال الحرب كان يعرف كل هذه الارتباطات السياسية ، إلا أن اللجنة قد صممت على أن تحاكمه حول هذه الاتصالات السياسية ، أي محاكمة بأثر رجعي !!.

وأما الاتهام الأخير الرابع والعشرين ، فقد كان الأخطر لأنه يتعلق بموقفه المعارض لإنتاج القنبلة الهيدروجينية ، وحول هذا الاتهام كان تيللر هو شاهد الإثبات الأول وكان رئيس لجنة الطاقة الذرية هو شاهد الإثبات الثاني ، وبطبيعة الحال كانت شهادة هذين الاثنتين (غريمه وخليفته) كافية لإدانة اوبنهايمر ، ومع أن اوبنهايمر كان بالفعل معارضاً لإنتاج القنبلة الهيدروجينية

على أسس فنية وسياسية واضحة ، ولأن ضميره كان يعذبه للدور الذي لعبه في قنابل اليابان الذرية بشكل مؤلم وواضح ، إلا أن موقفه أثناء المحاكمة لم يكن مع الأسف بهذا الوضوح ، فلقد تردد في رده على أسئلة اللجنة وتذبذب.

لقد فقد العالم الكبير شجاعته في هذه اللحظة التاريخية الحاسمة ، وبدلاً من أن يدافع في جراءة عن رأيه بدت محاكمته وكأنها تكرر مأساوى لموقف (جاليليو) عند محاكمته من قبل محاكم التفتيش .

وخلال هذه الفترة شهد عدد كبير من العلماء والشخصيات لصالحه ، وعلى الرغم من أن نتيجة الجلسات أسفرت عن عدم التشكيك فى ولائه للولايات المتحدة (وإن لم تأتمنه على أسرار حكومية) إلا ان السلطات أدانته ولم تمنحه شهادة (حسن السير والسلوك) مرة أخرى .

تفرغ اوبنهايمر بعد ذلك للتدريس الجامعى حتى عام ١٩٦٣ حتى تولى جون كيندى الحكم وقرر رفع التهمة نهائياً عن اوبنهايمر ورد اعتباره ومنحه أعلى وسام علمى أمريكى ، وهى جائزة أنريكو فيرمى ، ولدى طرح القرار على الكونجرس فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣ لمناقشته عارضته الأغلبية الجمهورية بشدة لكن الرئيس تجاهل رفض الكونجرس وقرر استخدام حق الفيتو ، وفى نفس اليوم أى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣ اغتيل الرئيس كيندى فى مدينة دالاس ، على أن الاغتيال لم يمنع خليفته الرئيس لندون جونسون من المضى قدماً فى تنفيذ قرار الرئيس الراحل كيندى وقلد اوبنهايمر الوسام العلمى فى الموعد المقرر فى ٢ ديسمبر ١٩٦٣ .

وظل اوبنهايمر يشغل منصب مدير معهد الدراسات المتطورة فى بريستون حتى عام ١٩٦٦ ثم استقال بعدها ، ولقد علق أحد زملائه على ذلك قائلاً إن المحنة التى تعرض لها (كسرت روحه) وفى الثامن عشر من فبراير من العام ١٩٦٧ توفى روبرت اوبنهايمر .

اندريه سخاروف

عندما يصبح " منقذ روسيا " عدواً للدولة !!

عندما توفي " اندريه سخاروف " عام ١٩٨٩ تزايد نفوذ هذا العالم الفيزيائي الذي أمضى أغلب حياته تحت الإقامة الجبرية في الاتحاد السوفيتي ، حيث تحولت مبادئ هذا الرجل إلى رمز ملهم لدعاة الحرية في كل العالم ، وقد جعلت منه كل هذه الأشياء بالإضافة إلى وضعه تحت الإقامة الجبرية بطلاً بالنسبة للمواطنين العاديين في كل مكان .

ولد سخاروف (١٩٢١ - ١٩٨٩ م) في العاصمة السوفيتية موسكو وعلم نفسه القراءة وهو في الرابعة من عمره ، وكان والده من عشاق الفيزياء حيث كان يجرى الكثير من التجارب الفيزيائية أمام الطفل الذي كان يرى الأمر وكأنه معجزات تتحقق ، وعندما التحق بجامعة موسكو في الأربعينيات من القرن الماضي كان سخاروف يعتبر واحداً من أبناء الشباب السوفيتي في ذلك الوقت .

وقد منعت حالة مرضية للقلب سخاروف من القتال في الحرب ، وبدلاً من هذا اشتغل في مصنع للذخيرة الحربية ، وطور أداة لاختبار قوة طلاقات الرصاص المخترقة للدروع ، ولكن عبقريته الحقيقية برزت بعد الحرب ، حيث تم إرساله إلى إحدى القواعد السرية حيث يجري تطوير القنبلة الهيدروجينية .

فى عام ١٩٥٣ نجح الاتحاد السوفيتى فى تطوير أول قنبلة هيدروجينية، و تمت تجربتها بنجاح فى كازاخستان ، ونتيجة ذلك أصبح سخاروف وهو فى الثانية والثلاثين من عمره أصغر عضو ضم إلى الأكاديمية السوفيتية ، ونعتته زملاؤه بأنه " منقذ روسيا " ومنح ثلاث مرات أرقى وسام روسى (بطل العمل الاشتراكى) ، واعتبر شخصية ذات شأن مهم ، وحظر الطيران عليه ، وقام بحراسته فى جميع الأوقات رجال لجنة أمن الدولة السوفيتية KGB ، وكتب عنها سخاروف فيما بعد أنها أكثر سلاح مرعب فى تاريخ البشرية وقال إنه كان يعتقد فى ذلك الوقت أنه بمشاركته فى إنتاج القنبلة الهيدروجينية يعمل من أجل السلام الذى يمكن أن يتحقق بصورة أفضل فى ظل توازن القوى ، ولكن معرفة سخاروف بالآثار المدمرة للأسلحة النووية جعلته معارضاً لانتشار التسليح النووى والدخول فى سباق له .

وفى خريف عام ١٩٦٢ شهدت حياة عالم الفيزياء النووية السوفيتى اندريه سخاروف نقطة تحول مصيرية ، وفى ذلك الوقت كان قد بلغ الحادية والأربعين من عمره ويحمل درجة الدكتوراه فى الفيزياء ويعمل فى مجال تطوير الأسلحة النووية السوفيتية ، فقد كان كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى يخوضان صراعاً ضارياً من أجل التفوق النووى .

وفى سبتمبر من هذا العام كان الاتحاد السوفيتى يعتزم إجراء تفجير قنبلتين نوويتين فى الفضاء وليس تحت الأرض ، وكان سخاروف قد ساهم فى تصميم هاتين القنبلتين ، وخشى سخاروف من أن يؤدى الإشعاع الناتج عن تفجير هاتين القنبلتين فى الهواء إلى مقتل مئات الآلاف من المدنيين ، كما اقتنع فى ذلك الوقت بأن هذه التجارب سوف تشعل سباق التسليح بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بصورة أكثر حدة ، وشعر بالإحباط عندما وجد أن أبحاثه العلمية سوف تتحول إلى نهايات مدمرة .

وفى الخامس والعشرين من سبتمبر اتصل سخاروف برئيس الوزراء السوفيتى فى ذلك الوقت " نيكيتا خروتشوف " وأبلغه أن التجربة المنتظرة لن تحقق أى نتيجة وأنها سوف تقتل آلاف الأشخاص بدون سبب ، وأبلغ خروتشوف سخاروف أنه سيتم إحالته للتحقيق بسبب تأجيله هذه التجربة النووية. وقررت الحكومة السوفيتية فصله من عمله كعالم فيزياء نووية بسبب موقفه السياسى .

ويبدأ اسم سخاروف يتردد خارج الاتحاد السوفيتى كأحد الأصوات الداعية للسلام ، الأمر الذى تسبب فى منحه جائزة نوبل للسلام فى سنة ١٩٧٥ ، ومن ثم استخدم الكرملين أجهزته لمحاكمته واسكاته ، وأعلن أنه العدو رقم واحد فى سنة ١٩٨٠ ، وحكم عليه بالنفى الداخلى فى منطقة " جوركى " النائية وقام هناك بسلسلة اضرابات عن الطعام ، وحتى فى سنة ١٩٨٥ كان سخاروف الكهل فى مستشفى يقاوم قيوده بعنف ويقوم بتغذيته قسراً رجال لجنة أمن الدولة السوفيتية KGB ... وقد أدى رفضه للصمت رغم الحصار والنفى إلى أن يصبح بطلاً حتى أن السوفيت استقبلوه عند عودته لموسكو من منفاه استقبال الأبطال .

وفى السنوات الثلاث التالية واصل سخاروف القتال من أجل حرية التعبير ، وحق التصويت والعتفو العام عن المسجونين السياسيين ، وتم انتخابه لعضوية البرلمان الروسى الذى كان أول مجلس نيابى يتم انتخابه بطريقة ديمقراطية فى الاتحاد السوفيتى وذلك فى ظل حكم آخر رئيس للاتحاد السوفيتى جورباتشوف ... وتوفى سخاروف عام ١٩٨٩ .

حائط برلين

جدار طويل كان يفصل بين شطرى برلين الشرقية وبرلين الغربية ، بدأ بناءه فى ١٣ أغسطس ١٩٦١م ... ذلك أنه بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م ، قسمت ألمانيا إلى أربعة مناطق محتلة بحسب اتفاقية مالطة بين الدول المحتلة وهى الولايات الأمريكية المتحدة والاتحاد السوفيتى والمملكة المتحدة وفرنسا ، وتبعاً لذلك قسمت العاصمة السابقة للرايخ الألمانى إلى أربعة مناطق أيضاً ، وفى ذات الحقبة بدأت الحرب الباردة بين المعسكر الشرقى الاشتراكى والغربى الرأسمالى ، ومثلت برلين مسرحاً للمعارك الاستخباراتية بينهما.

وفى عام ١٩٤٩م بعد قيام جمهورية ألمانيا الاتحادية (ألمانيا الغربية) فى المناطق المحتلة من قبل الولايات الأمريكية المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا، وقيام جمهورية ألمانيا الديمقراطية (ألمانيا الشرقية) بعد ذلك فى المنطقة المحتلة من قبل السوفييت ، بدأ العمل على قدم وساق على حدود كلا البلدين لتأمين الحدود ، وقيام كيانين دعم التقسيم السياسى لألمانيا بين ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية ووضع بشكل أولى شرطة وحرس للحدود ، ولاحقاً على الطرف الشرقى بدء وضع الأسوار ، كانت مدينة برلين المقسمة أربعة

أقسام منطقة خالية من الجنود ، وكانت مستقلة عن الدولتين الألمانييتين الجديتين، ولكن عملياً لم يكن الحال كذلك ، فالمناطق الغربية من برلين أصبحت أقرب إلى كونها ولاية ألمانية غربية ، وخلافاً للمعاهدات أعلنت برلين الشرقية عاصمة لجمهورية ألمانيا الديمقراطية.

ومع زيادة حدة الحرب الباردة بدء تعزيز الحدود بين ألمانيا الشرقية والغربية ، وفي الحقيقة أن هذه الحدود لم تعد فقط حدوداً بين ألمانييتين ، وإنما أصبحت بين المعسكرين الشرقي والغربي ، بين حلف وارسو وحلف الناتو ، أي بين ايديولوجيتين سياسيتين وقطبين اقتصاديين وثقافتين كبيرتين .

وكانت أعداد كبيرة من مواطني ألمانيا الشرقية قد بدأوا في الانتقال إلى ألمانيا الغربية عبر برلين على وجه الخصوص ، لأنه كان من شبه المستحيل مراقبة الحدود فيها حيث كانت تمر في وسط المدينة وأحيائها ، حتى أنه بين عامي ١٩٤٩م - ١٩٦١م ترك ما يقرب من ٣ مليون ألماني جمهورية ألمانيا الشرقية ، وكانوا في معظم الأحيان من المتعلمين والمتقنين مما هدد كيان الدولة، كما أن كثيراً من سكان برلين الغربية كانوا يحصلون على المواد الأساسية بأسعار مغرية من الشرق من خلال تبادل العملة في السوق السوداء مما هدد القدرة الاقتصادية لألمانيا الشرقية ، فكان سور برلين الوسيلة الأساسية لمنع ذلك .

وفي نهاية الثمانينيات وعندما بدأت بوادر انهيار الكتلة الشرقية ... وفي ٩ نوفمبر ١٩٨٩م بعد أكثر من ٢٨ عاماً على بناء سور برلين الذي قسم مدينة وشعباً ، أعلن جونتير شايفكوفسكي عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الألماني خلال مؤتمر صحفى أن ألمانيا الديمقراطية (الشرقية) قد فتحت المعابر الحدودية ، وبعدها بقليل انطلق الآلاف من مواطني ألمانيا الديمقراطية إلى الشطر الغربي في ألمانيا الغربية آنذاك ومروا عبر الحدود المفتوحة ،

واعتبر هذا اليوم يوم سقوط سور برلين ، مؤشراً أساسياً فى انهيار الكتلة الشرقية نفسها .

وفى ٣ أكتوبر ١٩٩٠م تم إعادة توحيد الألمانيتين مرة أخرى عندما أعلنت خمس من الولايات الفيدرالية التى أعيد إنشاؤها فى ألمانيا الشرقية الانضمام رسمياً إلى ألمانيا الغربية .

أزمة الصواريخ الكوبية

فى إطار صراع السيطرة على العالم والذى دار بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، كانت الولايات المتحدة فى عهد الرئيس ايزنهاور فى محاولتها وقف المد الشيوعى قد أعدت خطة للهجوم على كوبا ، وذلك بإرسال مجموعات من الكوبيين المهاجرين إلى أمريكا لاحتلال جزيرة كوبا بدعم من الجيش الأمريكى ، وفور تولى الرئيس كنيدي الحكم أمر بتنفيذ الخطة فى ابريل ١٩٦١ ، إلا أن الهجوم البرمائى قد فشل فشلاً ذريعاً باعتراف كنيدي نفسه وتم إبادة القوات المهاجمة فيما عرف بأزمة " خليج الخنازير " ... وعلى جانب آخر قامت الولايات المتحدة بتشييد قواعد صواريخ فى منطقة ازمير بتركيا يبلغ مداها ٢٤٠٠ كم ، أى أن موسكو كانت على بعد ١٦ دقيقة فقط من مرمى تلك الصواريخ وهو ما أثار غضب الرئيس السوفيتى خروتشوف.

وفى ١٥ أكتوبر ١٩٦٢ اكتشفت طائرات التجسس الامريكى منصات لصواريخ سوفيتية فى كوبا ، مما اعتبر تهديداً مباشراً للولايات المتحدة نظراً للمسافة القصيرة التى تفصل بينها وبين كوبا والتى تبلغ حوالى (١٤٠ كم) ، وبناء على ذلك اصدر الرئيس الأمريكى كنيدي أمراً للبحرية الأمريكية

بمحاصرة جزيرة كوبا وتفتيش كافة السفن المتوجهة إليها ، ومصادرة أى أسلحة هجومية على هذه السفن ، وفى ٢٧ أكتوبر ١٩٦٢ بعث الرئيس الكوبى كاسترو برسالة خطية للرئيس السوفيتى يحثه فيها على شن هجوم نووى على الولايات المتحدة ، وأصبح العالم على شفا حرب نووية ، ولكن الاتحاد السوفيتى لم يستجب لطلب كاسترو ، ونتيجة للتدخلات رضخ الاتحاد السوفيتى لطلب إزالة الصواريخ الكوبية مقابل فك حصار الولايات المتحدة عن كوبا وتعهدا بعدم غزوها والتخلص من الصواريخ الأمريكية بتركيا.

السوفيت

يحجزون الصفوف الأولى فى الفضاء

فى ٤ أكتوبر ١٩٥٧ هز السوفيت العالم كله بإذاعة خبر إطلاق القمر الصناعى السوفيتى الأول " سبوتنيك - ١ " إلى الفضاء ، مع رسالة واضحة أن حاملة الصواريخ (R-7) التى وضعت سبوتنيك فى مدارها قادرة أيضاً على حمل الرؤوس النووية وإطلاقها فى أى مكان فى أوروبا ... وبينما أثار الخبر دهشة العالم الثالث وسعادة كل مؤيدى الاتحاد السوفيتى ، فقد ساد الولايات المتحدة والكتلة الغربية حالة من الفرع فيما عرف بعد ذلك كرد فعل " بأزمة سبوتنيك " .

وبعد ذلك بأقل من شهر ، وتحديداً فى ٣ أكتوبر ١٩٥٧ أكد السوفيت سبقهم إلى الفضاء وأطلقوا " سبوتنيك - ٢ " وعلى متنها أول كائن حى يدور خارج الجاذبية الأرضية ... الكلبة " لاىكا " .

واشتعل بذلك سباق الفضاء بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ، وكان سيرجى كوروليف هو المهندس الرئيسى لبرنامج الفضاء السوفيتى ، بينما كان العالم الألمانى فون براون هو المهندس الرئيسى لبرنامج الفضاء الأمريكى .

بعد أربعة أشهر تقريباً من إطلاق أول قمر صناعى " سبوتنيك - ١ "

أطلقت الولايات المتحدة قمرها الصناعي الأول " اكسلبورر - ١ " لكن بعد الكثير من حالات فشل الإطلاق المحرجة .

وفي ١٢ أبريل ١٩٦١ أطلق الاتحاد السوفيتي سفينة فوستوك وعلى متنها أول إنسان في تاريخ البشرية يدور حول الأرض مخترقاً حاجز الجاذبية الأرضية ، " يوري جاجارين " الذي عاش بين عامي (١٩٣٤ - ١٩٦٨) ، ولكن أكثر ما أذهل الناس في خبر التحليق الفضائي الأول في تاريخ البشرية هي الأخطار المجهولة التي تحف به ، حيث كان عصر غزو الفضاء ما زال حديثاً ، ثم أننا لم نكن نعرف كيف يتصرف دماغ الإنسان و كيف تتصرف أعضاء جسمه في حالة إنعدام الوزن ، وهي الحالة التي يمر بها رائد الفضاء حينما يتواجد مع سفينته في مدار حول الأرض ، كما أن جاجارين طار في سفينة فضائية لم تجرب من قبل ، وأن أجهزة الكبح الضرورية لإخراج السفينة من مدارها حول الأرض وجعلها تأخذ مساراً معيناً في طريق العودة إلى الأرض لم تنجح عملياً في التحليقات السوفيتية إلا ثلاث مرات من مجموع خمس رحلات ، وكل هذا يعني أن رائد الفضاء قد لا يعود سالماً إلى الأرض ، فيواجه مصيره البائس في الفضاء خنقاً وحرقاً ، وإذا عرفنا أن جاجارين كان يجلس في المركبة الفضائية فوستوك ، والتي هي عبارة عن كرة لا يزيد قطرها عن مترين وأربعين سنتيمتراً ، مثبتة على صاروخ يزن ٢٨٧ طناً وبطول ٣٧ متراً ، لأدركنا وضع جاجارين الحرج والخطير .

وفي الحقيقة فإن جاجارين قد واجه فعلاً متاعب خطيرة جداً في رحلته التاريخية هذه ، والثابت جيداً أن جاجارين أظهر هدوءاً ورباطة جاش أسطوريين ، واتخذ القرارات الصحيحة في اللحظات المناسبة ، ومن هذه المتاعب أن خللاً فنياً قد اكتشف في باب المركبة الفضائية وذلك في الدقائق الأخيرة قبل الإطلاق وتمكن الفنيون بعد موجة من الرعب من إصلاحه ، وحين

فتح مصمم السفينة باب المركبة وجد جاجارين يدندن اغنيته الوطنية المفضلة "الشعب يسمع ، الشعب يعرف أن ابنه يخلق بين الغيوم " وبعد إطلاق السفينة الفضائية بدقائق قليلة انقطع الاتصال اللاسلكى مع جاجارين وكانت تسمع بدلاً من ذلك حشرجات مخيفة ظنوا أنها آخر أنفاس جاجارين ، وعندما عاد الإرسال مرة أخرى سمعوه يدندن نفس الأغنية ، كان يدرك هذه المخاطر ويدرك إرتباك و هلع المشرفين على الرحلة فأراد أن يخفف من وطأة هذا الكابوس ، وحتى فى طريق عودته من الفضاء أدرك أن هبوط المركبة على الأرض سيكون ارتطامياً فقفز بالباراشوت وهبط سالماً على الأرض بعد أن دار حول الأرض لمدة ١٠٨ دقيقة ، وقد أصدرت زوجته كتاباً حول رحلته حمل عنواناً درامياً " الـ ١٠٨ دقيقة وحياتنا كلها " ... ومن المعروف أن يورى جاجارين قد لقي مصرعه عام ١٩٦٨ فى تحطم طائرة كان يقودها فى رحلة تجريبية وكان عمره أربعاً وثلاثين سنة فقط.

وفى ٢ فبراير ١٩٦٢ كان " جون جلين " أول رائد فضاء أمريكى يطير حول الأرض فى سفينة الفضاء " فريندشيب ٧ " .

وفى ١٦ يونية ١٩٦٣ أصبحت السوفيتية " فالينتينيا تريشكوف " أول رائدة فضاء فى العالم تدور حول الأرض حيث انطلقت فى السفينة " فوستوك - ٦ " أى " الشروق " لتدور حول الأرض (٤٤) دورة وهى جالسة بمفردها داخل السفينة الضيقة ، قاطعة مسافة ٢ مليون كم خلال ما يقرب من ٧١ ساعة ، وكان من أولى مهامها متابعة سفينة فضاء أخرى انطلق بها زميل لها قبل ذلك بيومين ، واقتربت بسفينتها من سفينته لمسافة خمسة كيلومترات ، ووقتها لم يكن التحام سفن الفضاء ببعضها قد تحقق وكانت عمليات الاقتراب كهذه تعد خطراً كبيراً ... وبعد هذا الإنجاز بعشرين عاماً انطلقت أول رائدة فضاء أمريكية "سالى رايد" إلى الفضاء فى ١٨ يونيو ١٩٨٣ .

وفى ١٨ مارس ١٩٦٥ قام رائد الفضاء الروسى اليكس ليونون بأول سبر فى الفضاء حيث أمضى ٢٠ دقيقة خارج المركبة " فسخود - ٢"، وفى ٢٧ يناير ١٩٦٧ مات فيرجيل جريوم وادوراد وايت وروجر تشافى فى حريق بمنصة الإطلاق فى مركز كيندى للفضاء وأصبحوا أول ضحايا برنامج الفضاء الأمريكى ، وفى ٢٤ أبريل ١٩٦٧ كان فلاديمير كوماروف أول رائد فضاء روسى يموت فى مهمة فضائية عندما تشابكت مظلة الهبوط فى " سيوز - ١".

وفى ٢٠ يوليو ١٩٦٩ أصبح الأمريكان نيل ارمسترونج والوين الدرين أول شخصين يهبطان على سطح القمر فى حدث راقبه أكثر من ٥٠٠ مليون شخص حول العالم ، فى لحظة تعد من اللحظات الحاسمة من القرن العشرين .

وفى تاريخ سباق الفضاء كانت ملامح تفوق الاتحاد السوفيتى متعددة وغزيرة ومتشعبة من أهمها أن السوفيت قد اطلقوا فى ١٩ أبريل ١٩٧٠ أول محطة مدارية " ساليوت - ١" أى "التحية" تحمل بشراً والتحمت بها عدة سفن فضاء من طراز " سويوز" فى رحلات متعاقبة ، وكما تعددت الرحلات تعددت المحطات أيضاً ، فقد أطلق منها جيل يتألف من سبع محطات آخرها كان فى عام ١٩٨٤ ، وبعد أن تطورت تصميماتها بدأت المحطة المدارية " مير" تستوى على مدارها منذ عام ١٩٨٦ وتميزت بإمكان التحام عدة سفن للبقاء بها فى نفس الوقت ، وكانت الشاحنات الفضائية الذاتية الحركة من طراز "بروجريس" تنقل المؤن والشراب والوقود والملابس والبريد إليها فى رحلات متعاقبة ... ولقد سجل الرواد السوفيت فى المحطات المدارية مدد بقاء قياسية ، تدرجت مع الوقت حتى بلغت ٣٦٦ يوماً فى نهاية عام ١٩٨٨ ، ولقد ضرب هذا الرقم القياسى الرائد الروسى " رومانينكو" الذى خرج من سفينة الفضاء بعد هبوطها على الأرض وهو يركض ، دون أن يصيبه أى دوار أو تعب ، وفى مارس ١٩٥٥ ، تجاوز هذا الرقم رائد آخر هو " فاليرى بولياكوف" حيث أمكنه

البقاء (٤٣٨) يوماً على نفس المحطة المدارية ... بينما أطول مدة بلغها للرواد الأمريكيون لم تتجاوز (٨٤) يوماً ، وحققها ثلاثة رواد فقط فى عام ١٩٧٤ .

ومن ملامح التفوق الفضائى السوفيتى أيضاً ، تصميمهم للصاروخ "انيرجيا" الذى فاق أقوى الصواريخ الأمريكية " ساترن - ٥ " الذى رفع كل سفن برنامج ابوللو إلى الفضاء ، فقد انطلق انيرجيا فى نوفمبر ١٩٨٨ ، وأذهل العلماء الأمريكيين لقوته الكبيرة ، وبمقارنة انيرجيا الروسى بساترن - ٥ الأمريكى ، نجد أن الأول يتميز بأن عدد مراحل أقل فهى مرحلتان ، بينما "ساترن" له ثلاث مراحل ، ورغم أن طول الأخير يبلغ ١٠٨ أمتار ، فإنه لايستطيع رفع أكثر من ٤٥ طناً إلى المدارات البعيدة عن الأرض ، بينما يقل الصاروخ السوفيتى عنه فى الطول إذ لا يتجاوز ٧٠ متراً ، ويستطيع رفع أكثر من ١١٠ طناً ، الأمر الذى يشير إلى أن " انيرجيا " يصلح ليس لرفع أجيال المكوك السوفيتى وحدها ، ولكن أيضاً لرفع ما هو أثقل مثل المحطات المدارية "مير" .

ومن ملامح التفوق السوفيتى أيضاً المكوك " بوران " الذى أطلق فى ١٥ نوفمبر ١٩٨٨ بدون رواد ، وكان يشبه المكوك الأمريكى شكلاً ، من حيث كونه كالمطائرة له أجنحة ومجموعة نيل ، وعجلات للهبوط ، ويعلق أيضاً رأسياً بمستودع ضخم للوقود ، ويبلغ طوله ٣٦,٦ متر وارتفاعه ١٧ متراً ، وتبلغ المسافة بين طرفى الجناحين ٢٤,٤ متراً ، أما وزنه فيقل عن مائة طن .

ولعل النكبة التى أصابت الأمريكيين باحترق " تشالنجر " فى ٢٨ يناير ١٩٨٦ تعتبر خطوة إلى الوراء ، حيث أورثت بحوث الفضاء الأمريكية عقدة الذنب ، وأدت إلى وقفة دامت ٣٢ شهراً ، وخلال حقبة التوقف هذه التى أطلق عليها البعض الحقبة السوداء ، خطت بحوث الفضاء السوفيتية خطوات كبيرة إلى الامام ، وتميزت بالبرامج المكثفة ، وعلى سبيل المثال فإن السوفيت خلال

عام ١٩٨٦ قاموا بـ ٩١ عملية إطلاق للصواريخ أمام ٥ عمليات أمريكية فقط، واستخدم السوفييت أكثر من ٨٠٠ نوع من الصواريخ ، لها ٢٠ نوعاً مختلفاً من أجهزة الدفع.

ومما ينبغي ذكره أن العلماء الألمان قد كان لهم السبق فى تطوير صواريخ الفضاء ، فى منتصف العشرينيات بدأوا بتجريب صواريخ بالوقود السائل التى كانت قادرة على الوصول إلى ارتفاعات ومسافات عالية نسبياً ، وفى عام ١٩٤٢ أطلق الألمان صاروخ A-4 حيث اعتبر أول جسم يصل إلى الفضاء، وفى عام ١٩٤٣ بدأت ألمانيا بانتاج صواريخ V-2 بعيدة المدى (٣٠٠ كيلومتراً) وتحمل رأساً حريباً وزنه ١٠٠٠ كيلوجراماً وقد سببت هذه الصواريخ أضراراً وخسائر هائلة فى الأرواح خلال الحرب العالمية الثانية .

وعندما اقتربت الحرب العالمية الثانية من الانتهاء ، تسابق الجيش الأمريكى والسوفييتى على أسر علماء ومهندسين فى برنامج الصواريخ الألمانية، وأخذت الولايات المتحدة عدداً كبيراً من علماء الصواريخ الألمان حيث كان منهم أعضاء بالحزب النازى ومن ضمنهم فون براون مهندس برنامج الفضاء الأمريكى .

جيفارا

يعد ارستو جيفارا (١٩٢٨ - ١٩٦٧) شخصية ثورية فذة فى نظر الكثيرين ، ولد من عائلة برجوازية أرجنتينية بمدينة بيونس ايريس ، وحين بلغ العامين اكتشف أهله أصابته بالربو .

درس الطب فى جامعة بيونس ايريس وتخرج عام ١٩٥٣ ، ولإصابته بالربو لم يلتحق بالتجنيد العسكرى ، قام بجولة حول أمريكا الجنوبية مع أحد أصدقائه على متن دراجة نارية وهو فى السنة الأخيرة من الطب وأثرت تلك الرحلة فى شخصيته وإحساسه بوحدة أمريكا الجنوبية وبالظلم الكبير من الدول الامبريالية للمزارع البسيط .

وفى عام ١٩٥٥ قابل " هيلدا " المناضلة اليسارية من " بيرو " فى منفاهها فى جواتيمالا ، فتزوجها وأنجب منها طفلة الأولى ، وهى التى جعلته يقرأ للمرة الأولى بعض الكلاسيكيات الماركسية.

سافر إلى المكسيك والتقى هناك براؤول كاسترو المنفى مع أصدقائه الذين كانوا يجهزون للثورة وينتظرون خروج فيدل كاسترو من سجنه فى كوبا ، وما أن خرج فيدل كاسترو من سجنه حتى قرر جيفارا الانضمام للثورة الكوبية .

فى ١٩٥٩ اكتسح رجال حرب العصابات برئاسة فيدل كاسترو هافانا واسقطوا الديكتاتورية العسكرية لفولجنسيو باتيستا برغم تسليم حكومة الولايات المتحدة وتمويلها لباتيستا ولعملاء الـ CIA داخل جيش عصابات كاسترو .

دخل الثوار كوبا على ظهر زورق ولم يكن معهم سوى ثمانين رجلاً لم يبق منهم سوى ١٠ رجال فقط بينهم كاسترو وأخوه راول وجيفارا ولكن هذا الهجوم الفاشل اكسبهم مؤيدين كثيرين خاصة فى المناطق الريفية ، وظلت المجموعة تمارس حرب العصابات لمدة سنتين وخسروا نصف عددهم فى معركة مع الجيش .

وبواسطة خطة جيفارا للنزول من جبال سييرا باتجاه العاصمة الكوبية تمكن الثوار من دخول العاصمة هافانا فى يناير ١٩٥٩ على رأس ثلاثمائة مقاتل إلى هافانا ليبدأ عهد جديد من حياة كوبا وانتصرت الثورة بعد أن أطاحت بحكم الديكتاتور " باتيستا " .

وفى تلك الأثناء اكتسب جيفارا لقب " تشى " الارجنتينى ، وتزوج من زوجته الثانية " إيدا مارش " وأنجب منها أربعة أبناء بعد أن طلق زوجته الأولى .

بعد ذلك صدر قانون يعطى الجنسية والمواطنة الكاملة لكل من حارب مع الثوار برتبة عقيد ولم توجد هذه المواصفات سوى فى جيفارا الذى عين مديراً للمصرف المركزى ، وأشرف على تصفية خصوم الثورة وبناء الدولة فى فترة لم تعلن فيها الثورة عن وجهها الشيوعى ، وما أن أمسكت الثورة بزمام الأمور وبخاصة الجيش حتى قامت الحكومة الشيوعية التى كان فيها جيفارا وزيراً للصناعة وممثلاً لكوبا فى الخارج ومتحدثاً باسمها فى الأمم المتحدة ، بالإعلان عن نفسها .

تولى بعد استقرار الحكومة الثورية الجديدة - وعلى رأسها فيدل كاسترو - على التوالى واحياناً فى نفس الوقت مناصب سفير منتدب إلى الهيئات الدولية الكبرى ، منظم الميليشيا ، رئيس البنك المركزى ، مسئول التخطيط ، وزير الصناعة ، ومن مواقعه تلك قام " تشى " بالتصدى بكل قوة لتدخلات الولايات المتحدة ، فقرر تأميم جميع مصالح الدولة بالاتفاق مع كاسترو ، فشددت الولايات المتحدة الحصار على كوبا ، وهو ما جعل كوبا تتجه تدريجياً نحو الاتحاد السوفيتى وقتها ، كما أعلن عن مساندته حركات التحرير فى كل من تشيلى وفيتنام والجزائر .

لكن عمره السياسى لم يطل ، حيث لم تعجبه الحياة السياسية فاخفى ، ونشرت مقالات كثيرة عن مقتله لعل رده يحدد مكانه لكنه لم يرد ، ونشرت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية شائعات تدعى فيها اختفاء ارنستو تشى جيفارا فى ظروف غامضة ومقتله على يد زميله فى النضال القائد الكوبى فيدل كاسترو ، مما اضطر الزعيم الكوبى للكشف عن الغموض الذى اكتنف اختفائه من الجزيرة للشعب الكوبى فأدلى بخطابه الشهير الذى ورد به ما يلى :

" بيدى هنا رسالة ، كتبت بخط اليد من الرفيق ارنستو جيفارا يقول فيها : أشعر أنى أتممت ما لدى من واجبات تربطنى بالثورة الكوبية على أرضها ، لهذا استودعك واستودع الرفاق واستودع شعبك الذى أصبح شعبى وأتقدم رسمياً باستقالتي من قيادة الحزب ، ومن منصبى كوزير ، ومن رتبة القائد ، ومن جنسيتى الكوبية ، لم يعد يربطنى شئ قانونى بكوبا " .

ذهب " تشى " لافريقيا مسانداً للثورات التحررية ولكن فشلت التجربة الأفريقية لأسباب عديدة منها عدم تعاون رؤوس الثورة الأفارقة واختلاف المناخ واللغة ، وانتهى الأمر بالـ " تشى " فى أحد المستشفيات فى براغ للنفاهه وزاره كاسترو بنفسه ليرجوه العودة .

وبقى فى زائير (الكونغو الديمقراطية) بجانب قائد ثورة الكونغو باتريس لومومبا يحارب ، لكن فجأة ظهر فى بوليفيا قائداً لثورة جديدة .

لم يكن مشروع " تشى " خلق حركة مسلحة بوليفية ، بل التحضير لترتيب صفوف الحركات التحررية فى أمريكا اللاتينية لمجابهة النزعة الأمريكية المستغلة لثروات دول القارة ، ومنذ بداية عام ١٩٦٧ وجد جيفارا نفسه مع مقاتليه وحيداً يواجه وحدات الجيش المدججة بالسلاح بقيادة CIA فى برارى بوليفيا الاستوائية ، وأراد جيفارا أن يمضى بعض الوقت فى حشد القوى والعمل على تجنيد الفلاحين والهنود الحمر من حوله ، ولكنه أجبر على خوض المعارك مبكراً .

لقى القبض على اثنين من مراسلى الثوار ، فاعترفوا تحت قسوة التعذيب أن جيفارا هو قائد الثوار ، فانتشر آلاف الجنود لتمشيط المناطق الوعرة بحثاً عن أربعين رجلاً ضعيفاً وجائعاً ، قسم جيفارا قواته لتسريع تقدمها ثم أمضوا بعد ذلك أربعة أشهر متفرقين عن بعضهم فى الأدغال ، إلى جانب ظروف الضعف والعزلة هذه تعرض جيفارا إلى أزمات ربو حادة ، مما شكل عامل ساهم فى تسهيل مهمة البحث عنه ومطاردته .

فى يوم ٨ أكتوبر ١٩٦٧ وفى أحد وديان بوليفيا الضيقة هاجمت قوات الجيش البوليفى المكونة من ١٥٠٠ فرد مجموعة جيفارا المكونة من ١٦ فرداً وقد ظل جيفارا ورفاقه يقاتلون ست ساعات كاملة وهو شئ نادر الحدوث فى حرب العصابات فى منطقة صخرية وعرة ، تجعل حتى الاتصال بينهم شبه مستحيل وقد استمر " تشى " فى القتال حتى بعد موت جميع أفراد المجموعة رغم أصابته بجروح فى ساقه إلى أن دمرت بندقيته (م-٢) وضاع مخزن مسدسه وهو ما يفسر وقوعه فى الأسر حياً ، نقل " تشى " إلى قرية "لاهيراس" وبقي حياً لمدة ٢٤ ساعة ، ورفض أن يتبادل كلمة واحدة مع من

أسروه وفي مدرسة القرية نفذ ضابط الصف " ماريو تيران " تعليمات ضابطيه
"ميجيل ايوروا" و " اندريس سيلنيش " بإطلاق النار على " نشى ".
وقد رفضت السلطات البوليفية تسليم جثته لآخيه أو حتى تعريف أحد
بمكانه أو بمقبرته حتى لا تكون مزاراً للشوار من كل أنحاء العالم.

مارتن لوثر كينج

اليوم ٢٨ أغسطس ١٩٦٣م ، ومدينة واشنطن تمر بفترة قيظ لافح ، وقد خرج مائتا ألف أمريكي ما بين سود وبيض ، ورؤساء نقابات ورجال سياسة ... وأمام تمثال لنكولن وقف قس أسود شاب وهو يقول " أننى أحلم باليوم الذى يستطيع فيه أطفالى الأربعة ، أن يعيشوا فى أمة لا تحكم عليهم بلون بشرتهم ، ولكن بقدراتهم الشخصية " ، كان هذا الشاب مارتن لوثر كينج (١٩٢٩م - ١٩٦٨م) .

كان اثنان وعشرون مليوناً من السود ، يقفون خلف كينج عندما بدأ حربه فى سبيل الحقوق المدنية ، وقد رفعت اللافتات تتادى بالمساواة فى العمل ، وإزالة التفرقة العنصرية فى مجال الإسكان والخدمات العامة ، وقبول الأطفال السود فى المدارس العامة ، وحرية مزاوله حق الانتخاب فى ولايات الجنوب ، وكان مارتن لوثر كينج يتولى زعامة " الثورة " التى كانت لا تعتمد على القوة البدنية ولكن على العصيان المدنى والتعاليم السلمية التى وضعها غاندى ، وكانت أولى نتائج هذه المسيرة إلى واشنطن أن مجلس الشيوخ أقر أهم قانون فى مجال التشريعات العنصرية منذ قانون تحرير السود ، وكان ذلك هو قانون الحقوق المدنية الذى صدر فى ٦ أغسطس ١٩٦٥م الذى قضى بإنشاء سجلات

اتحادية تضمن حقوق الانتخاب للسود الذين لم يقيدوا فيها ، وكان القانون تأكيداً لوجودهم السياسى بالولايات المتحدة.

وكان أول عمل ضد التفرقة العنصرية قد تم فى ديسمبر ١٩٥٥م فى الجنوب وهو مقاطعة شركة أتوبيسات مونتجرى لمدة ٣٨١ يوماً حيث كانت المقاعد الخلفية مخصصة للسود ، وكان السود يجبرون أيضاً على ترك مقاعدهم للبيض ، وحققت المقاطعة نصراً باهراً .

وبعد تولى " كيندى " منصب الرئاسة ضاعف كينج جهوده المتواصلة لإقحام الحكومة الاتحادية فى الأزمة العنصرية المتفاقمة إلا أن كيندى استطاع ببراعة السياسى أن يتفادى هجمات كينج الذى كان لا يتوقف عن وصف الحكومة بالعجز عن حسم الأمور الحيوية .

ومن هنا قرر كينج فى أواخر صيف عام ١٩٦٢م بدء سلسلة من المظاهرات فى برمنجهام ، وعمل على تعبئة الشعور الاجتماعى بمظاهرة رمزية فى الطريق العام ، وفى اليوم التالى وقعت أول معركة سافرة بين الزوج المتظاهرين ورجال الشرطة البيض الذين اقتحموا صفوف المتظاهرين بالعصى والكلاب البوليسية ، ثم صدر أمر قضائى بمنع كل أنواع الاحتجاج والمسيرات الجماعية وأعمال المقاطعة والاعتصام ، فقرر كينج لأول مرة فى حياته أن يتحدى علانية حكماً صادراً من المحكمة ، وسار خلفه نحو ألف من المتظاهرين الذين كانوا يصيحون " حلت الحرية ببرمنجهام " ، وألقى القبض على كينج وأودعوه سجناً انفرادياً ، وحرر خطاباً أصبح فيما بعد من المراجع المهمة لحركة الحقوق المدنية ، وقد أوضح فيه فلسفته التى تقوم على النضال فى إطار من عدم العنف.

وفى عام ١٩٦٣م قام زواج أمريكا بثورة لم يسبق لها مثيل فى قوتها

اشترك فيها ٢٥٠ ألف شخص ، منهم نحو ٦٠ ألف من البيض متجهة صوب نصب لنكولن التذكاري ، فكانت أكبر مظاهرة فى تاريخ الحقوق المدنية ، وهناك ألقى كينج أروع خطبه " أنا أحلم " .

وفى العام نفسه أطلقت مجلة " تايم " على كينج لقب " رجل العام " فكان أول زنجى يمنح هذا اللقب ، ثم حصل فى عام ١٩٦٤م على جائزة نوبل للسلام لدعوته إلى اللاعنف ، فكان بذلك أصغر رجل فى التاريخ يفوز بهذه الجائزة - ٣٥ عاماً - ولم يتوقف عن مناقشة قضايا الفقر للزنج وعمل على الدعوة إلى إعادة توزيع الدخل بشكل عادل .

وفى بداية عام ١٩٦٨م كان كينج يعد لمسيرة سلمية جديدة إلى واشنطن، ولكنه أوقفها ليسانداً إضراباً قام به عمال النظافة فى مدينة ممفيس ولكن الإضراب تحول إلى العنف فعاد إلى الفندق الذى كان ينزل فيه وأعلن أنه سيعود لقيادة مسيرة سلمية تماماً .

ولكن فجأة أعلن النبأ الآتى " ممفيس (ولاية تيسى) ٤ أبريل ١٩٦٨م، قتل القس مارتن لوثر كينج ، برصاصة أصابته فى وجهه ، بينما كان يستريح فى شرفة حجرته بالفندق ، وقد شوهد شاب أبيض يهرب من العمارة التى أطلقت منها البندقية " .

وعلى رخام قبره حفرت بضع كلمات " الحرية أخيراً ، الحرية أخيراً ، شكراً يا ربى ، إننى حر أخيراً ! " .

السير الفريد هتشوك

السير الفريد هتشوك (١٨٩٩ - ١٩٨٠م) مخرج وسينمائي إنجليزي، يعتبر من أهم المخرجين في تاريخ السينما حيث مزج الرعب بالتشويق بالكوميديا .

في عام ١٩١٩ وعندما أعلنت شركة السينما الأمريكية " لاسكى " التي يمتلكها أحد عمالقة صناعة السينما في ذلك الحين هارولد لاسكى عن افتتاح ستوديو عام ١٩٢٠ في لندن ، تقدم هتشوك للعمل هناك وبدأ عمله في مجال السينما كمصمم عناوين أى ما يمكن وصفه اليوم بكاتب حوار وتعليق ، حيث تلعب العناوين في السينما الصامتة دوراً مشابهاً لدور الحوار ولكن بشكل سردي وتتدخل أحياناً لوصف شئ ما وخلق عنصر تشويق ، وربما يفسر لنا هذا تمكن هتشوك من خاصية الاقتصاد في العمل ووصوله لهدفه من أقصر الطرق وبشئى الوسائل المتاحة وخاصة استغلال دراميات المكان لأقصى درجة .

أيضاً في هذه الشركة وافته الفرصة ليخرج أول أفلامه بعد أن اعتذر مخرج فيلم " لابد وأن تخبر زوجتك دائماً بكل شئ " عن إتمام العمل لمرضه فقام هتشوك بإتمام الفيلم ورغم أن اسمه لم يذكر كمخرج على عناوين الفيلم أو

التبترات إلا أن مدير الشركة أعجب بعمله وأسند إليه إخراج أول أفلامه "رقم ١٣" الذي لم يعرض بسبب إفلاس الشركة .

إلا أن هذين العاملين أكسباه ثقة بنفسه فتقدم للعمل فى شركة ألمانية بريطانية مشتركة ليخرج فيلمه الأول رسمياً وهو " حديقة اللذة " الذى صور فى ألمانيا .

كان أول فيلم يشتهر به هو " النزول " وفيه قدم طابعه المميز الذى يصور البرئ الذى يتهم بالقتل ويحاول الفرار وإثبات براءته ، وفى الثلاثينيات أنجز فى بريطانيا مجموعة أفلام هامة من بينها "تخريب" ، " والرجل الذى يعرف أكثر من اللازم " و " العميل السرى " ، وكان آخر أفلامه فى بريطانيا هما "حانة جامايكا" عام ١٩٣٩ و " المراسل الأجنبى " عام ١٩٣٩ .

فى عام ١٩٤٠ انتقل إلى هوليوود ليقيم أول أفلامه هناك " ريكا " من بطولة سير لورانس اوليفيه وجوان فونتين . تتابعت بعد ذلك أعمال هتشكوك وتنوعت ما بين الدراما النفسية كما فى " شك " و " إنى اعترف " وبين أفلام الجاسوسية مثل " الستار الممزق " و " المخرب " و " سيئة السمعة " وأفلام الجريمة مثل " النافذة الخلفية " و " امسك حرامى " و " اتصل بالرقم لتحدث جريمة القتل " والأفلام الكوميديية مثل " السيد والسيدة سميث " و " مشكلة هارى".

كما قدم فيلم " القارب " التى حكى قصة كاملة فى مكان لا يتغير هو قارب ، وفيلم " الحبل " أول فيلم لا يعتمد على التقطيع بل هو لقطة واحدة طويلة، إلا أن أعماله الثلاثة التى حفرت اسمه للأبد هى " النافذة الخلفية " الذى علم المشاهدين كيف يتلصصون على الجيران ثم عاقبهم على ذلك ، وفيلم "الدوار" عن خوف المرتفعات ، وفيلم " نفوس معقدة " الذى خرق فيه قاعدة أن

تظل بطلة الفيلم حية حتى مشهد النهاية حيث توفيت البطلة فى الثلث الأول للفيلم، ومن أشهر أفلامه فيلم " الطيور " الذى وضع فيه القواعد الأساسية لأفلام الرعب ، والذى قلد فيما بعد فى العديد من الأفلام .

اشتهر هتشكوك كذلك ببرنامجه التلفزيونى القصير (الفريد هتشكوك يقدم) كما أنه كان ناشراً ذكياً ابتدع القصص القصيرة المخيفة التى راقت له وأصدرها فى سلسلة اسمها (قصص لم يسمحوا لى بتقديمها على التلفزيون) .

لم يحصل هتشكوك طوال تاريخه الطويل أى عبر أكثر من خمسين عاماً كمخرج على جائزة أوسكار أفضل إخراج . وإن كان قد حصل على جائزة تكريم خاصة عن مجموع أعماله من الأكاديمية الأمريكية .

الجوهرة السوداء ... ببليه

ولد أديسون ارانتيس دوناسيمينتو (وهذا اسمه الحقيقي) فى ٢٣ أكتوبر ١٩٤٠م فى قرية تسمى (القلوب الثلاثة) فى مقاطعة للمناجم بقلب البرازيل ، وكانت أسرته تعتمد فى عيشها على مبلغ ضئيل (٤,٥ دولار) يتقاضاه والده فى كل مرة يلعب فيها كرة القدم مع أحد النوادى المحلية ، وبعد إصابة والده فى ساقه اعتزل اللعبة وأصبحت الأسرة شديدة الفقر لدرجة العجز عن معالجة عائلها ، وبعد شفاء والده انتقل إلى مدينة أخرى وغرس فى ابنه حب كرة القدم، وبدأ زملاؤه فى اللعب يطلقون عليه اسم " ببليه " ، وشغلته كرة القدم - وكان فى العاشرة من عمره - عن دراسته ، لذلك كف عن الذهاب إلى المدرسة ، وفى عام ١٩٥٦م وقع عقداً للعب مع فريق محترف فى سانتوس مقابل راتب صغير بالإضافة إلى الأكل والمسكن ، وفى عام ١٩٥٩م وحده سجل ١٢٧ هدفاً، وفى حياته سجل ١٢٢٧ هدفاً فى ١٢٥٥ مباراة وجعل من فريق سانتوس والبرازيل قوة بارزة فى عالم كرة القدم.

وقاد فريق البرازيل القومى إلى الفوز بكأس العالم فى كرة القدم ثلاث مرات مما حقق له امتلاك الكأس إلى الأبد وهو نصر لم يحققه أى فريق من قبل ... وكانت أول مرة عام ١٩٥٨م حيث لعب ببليه لأول مرة فى كأس العالم

وعمره ١٧ عاماً ، ثم عام ١٩٦٢ م ، ثم ١٩٧٠ م ... وأعلنت البرازيل رسمياً أنها تعتبر بيليه " ثروة قومية " وشيئاً ثميناً لا يقدر بثمن ولا يمكن تصديره ، ولكن كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة توسط لدى الحكومة البرازيلية للموافقة على انتقال بيليه إلى الولايات المتحدة مطلقاً أن الصفقة سوف تعيد العلاقات الدولية ، واستقر بيليه هناك حيث لعب لنادى "نيويورك كوزموس" الذي قال مديره : لقد انتقلت لعبة كرة القدم في الولايات المتحدة من العصر الحجري إلى عصر التفاتت وغزو الفضاء بقفزة واحدة بوصول بيليه.

ومن طريف ما يذكر من إعجاب كل جماهير العالم ببيليه أنه في أثناء الحرب في نيجيريا للقضاء على الحركة الانفصالية في "بيافرا" عام ١٩٦٧م توقف القتال لمدة يومين لأن بيليه كان يلعب مباراة استعراضية في العاصمة النيجيرية لاجوس !! .

الليزر ...

الحل الذى يبحث عن مشكلة

حين ابلغ العالم الفيزيائى الأمريكى ثيودور مايمان رؤساءه لأول مرة أنه يريد اختراع الليزر ، رفض طلبه لأن تقارير التجارب التى أجريت قبل ذلك فى العديد من المختبرات كانت غير مشجعة ، ولكن بعد محاولات عديدة استجابوا لطلبه ، ومنح ٥٠ ألف دولار وفترة تسعة أشهر فقط لكى ينجز ما وعد به ... وفى ٧ يوليو ١٩٦٠ عقد ثيودور مايمان مؤتمراً صحفياً أعلن فيه أنه استطاع اختراع أول جهاز ليزر ليقدم إنجازاً مذهلاً فى مجال العلم ، ووصف اختراعه فى كلمات واثقة بأنه " الحل الذى يبحث عن مشكلة " ... وقد اعتبرت مجلة العلوم البريطانية التى نشر بها مايمان بحثه النهائى عن الليزر أهم بحث نشر بها على مدى مائة عام.

وكان العالم البرت اينشتاين قد تنبأ عام ١٩١٧ بوجود الليزر ، حيث وضع الأساس النظرى لعملية الإنبعاث المحفز ، وقد جاءت كلمة الليزر Laser من الأحرف الأولى لفكرة عمل الليزر وهى " تضخيم الضوء بواسطة الإنبعاث المحفز للأشعة " ، واستمرت المحاولات حتى عام ١٩٦٠ حين تم اختراع أول جهاز ليزر يقوم بتجميع الموجات العريضة ثم يقذفها فى شعاع كثيف من الضوء ، وبعدها بدأت الشركات فى إنتاج أنواع عديدة من مولدات أشعة الليزر

لأغراض متعددة وللاستعمالات الصناعية ، والطبية ، والفضائية ، وغيرها من المجالات ، وتعتمد الطاقة المتولدة من هذه الأجهزة على نوع المادة المستعملة فى هذا التوليد والغرض من الاستعمال .

والليزر بذلك حزمة من الضوء المكثف يختلف عن الضوء العادى - الذى ينتشر فى كل الاتجاهات وبأطوال موجية تختلف فيما بينها - فى أن له طول موجى واحد ، يحدد لون الضوء الناتج وطاقته ، كما أنه يتكون من أشعة متماسكة مما يجعل شدة الضوء كبيرة ، والليزر إتجاه واحد يجعله يسير فى مسار مستقيم ، وقد طورت الأبحاث قوة الليزر الذى كان فى بدايته عبارة عن شعاع ضعيف قبل أن يتطور العمل به ويصل إلى مستوى إضاءة يولزى عدة شمس ويغوق فى سرعته سرعة الضوء .

يستخدم الليزر حالياً فى مجالات متعددة كاستعماله فى الأقراص المدمجة وفى صناعة الإلكترونيات وقياس المسافات بدقة - خاصة أبعاد الأجسام الفضائية - وفى الاتصالات ، كما تستخدم أشعة الليزر فى معالجة بعض أمراض العيون وجراحات المخ والقلب والأوعية الدموية والجراحة العامة، ويستخدم أيضاً فى مختلف أنواع الصناعات الدقيقة والتقليد .

حرب فيتنام ... النصر المستحيل

لقد كانت حرب فيتنام أطول حرب عرفها القرن العشرون ، وقد سجل الفيتناميون ملحمة تاريخية لا تنسى فى الصراع ضد الاحتلال ومحاولات التقسيم، واستنفذت الولايات المتحدة قوتها العسكرية فى فيتنام ، فلم تكن الحرب مجرد هزيمة عسكرية للسمعة الأمريكية العسكرية والسياسية فحسب ، وإنما كانت ضربة قاسية لقدرة الولايات المتحدة.

تعود أسباب الصراع فى فيتنام إلى الحرب التحريرية التى قادها الفيتناميون ضد المستعمر الفرنسى والتى استمرت ثمانى سنوات (١٩٤٦ إلى ١٩٥٤) ، وكانت فيتنام قد تعرضت لإحتلال يابانى نهاية الحرب العالمية الثانية - قبيل هزيمة اليابان - فى أغسطس ١٩٤٥ وانتهز الثوار الفيتناميون فرصة هزيمة اليابان فاحتلوا هانوى عاصمة البلاد مرغمين الإمبراطور الفيتنامى " باو داي " على التحدى عن الحكم ، لكن فرنسا رغم جراح الحرب المنهكة ، بادرت باستعادة مستعمرتها فيتنام نهاية ١٩٤٥ وبداية ١٩٤٦ ، مجهزة أحلام الثوار فى حكم بلادهم .

وعندها أعلن الفيتناميون حرباً ضروساً على الفرنسيين اشتعلت مع نهاية ١٩٤٦ ، ثم انتهت بعد معركة " ديان بيان فو " الرهيبة يوم ٨ مايو ١٩٥٤ ،

وهى الهزيمة التى أتقلت كاهل فرنسا ... وفى يوليو ١٩٥٤ تم التوقيع على اتفاق جنيف الذى ينهى الحرب بين فرنسا وفيتنام بحضور وفد فيتنام ووفود فرنسا وبريطانيا والاتحاد السوفيتى والصين الشعبية والولايات المتحدة ولاوس وكمبوديا ... وكان من نتائج الاتفاق تقسيم فيتنام إلى شطرين يفصل بينهما خط عرض ١٧ ، ورغم حضورهما فى جنيف فإن الولايات المتحدة وحكومة سايجون الموالية لها لم توقع على الاتفاق ، وفور رحيل فرنسا من فيتنام بدأت الولايات المتحدة فى مساعدة حكومة سايجون عسكرياً .

وفى ٢٣ أكتوبر ١٩٥٥ ظهرت أول حكومة فى فيتنام الجنوبية "سايجون" منتخبة بقيادة " نغو دينه ديم " ، وكان أول قرار اتخذته هو الامتناع عن أى استفتاء من شأنه أن يؤدى إلى اتحاد الشطرين الفيتناميين ، مبررة ذلك بعدم حرية السكان فى الجزء الشمالى .

وفى فبراير ١٩٥٩ أسس الثوار الجنوبيون " فييت كونغ " أول منظمة فى دلتا ميكونغ ، وفى ١٠ ديسمبر ١٩٦٠ تم تأسيس جبهة التحرير الوطنى ، وهى الإطار التنظيمى السياسى والعسكرى الذى سيتولى مهمة الحرب ضد أمريكا وحكومة سايجون ، فما كان من الرئيس الجنوبى ديم إلا أن أعلن قانون الطوارئ ، وقد تأجج الصراع وبلغ مداه حين أعلن الحزب الشيوعى الفيتنامى الحاكم فى الشمال مساندة الثوار الجنوبيين وإمدادهم بالملاح.

أعلنت الولايات المتحدة وقوفها التام خلف حكومة سايجون ، بل أن الرئيس الأمريكى كنيدي وقع معاهدة صداقة وتعاون اقتصادى بين بلاده وفيتنام الجنوبية فى أبريل ١٩٦١ ، وفى ديسمبر من نفس السنة أعلن كنيدي عزمه مساعدة حكومة الرئيس ديم اقتصادياً وعسكرياً ، فوصلت طلائع الجيش الأمريكى إلى سايجون وكانت فى البداية ٤٠٠ جندي عهد إليها بتشغيل المروحيات العسكرية ، وفى السنة التالية بلغ عدد الجنود الأمريكيين فى فيتنام

الجنوبية ١١ ألف جندي ، كما أسست قيادة أمريكية في سايجون منذ يناير ١٩٦٢ .

قام الأمريكيون وحلفاؤهم الجنوبيون بقطع جبهة التحرير الوطني عن قواعدها عبر إقامة بعض القرى للمزارعين الموالين لحكومة الرئيس نيم ، ولم تنته سنة ١٩٦٣ حتى بلغ عدد تلك القرى سبعة آلاف تضم ثمانية ملايين شخص، غير أن هذه الدروع البشرية أو الحواجز السكانية لم تمنع ثوار جبهة التحرير من السيطرة على ٥٠% من تراب فيتنام الجنوبية .

لم تكن سياسة الرئيس نيم قادرة على تنظيم البيت الداخلي في الجنوب الفيتنامي ، فقد عارضه السياسيون نوو النزعة الليبرالية لديكتاتوريته ، كما عارضه البوذيون لميوله الكاثوليكية ، وقد أطيح به في أول نوفمبر ١٩٦٣ في انقلاب عسكري وتمت تصفيته جسدياً في ظروف غامضة ، ويرى العديد من الباحثين أن الولايات المتحدة لم تكن بعيدة عما جرى له ولنظامه ... وخلال الـ ١٨ شهراً التالية للإطاحة بالرئيس نيم عرفت سايجون عشر حكومات عسكرية متعاقبة لم تستطع أى منها ضبط النظام وخاصة العسكري .

عرفت سايجون في صيف ١٩٦٤ مزيداً من الانشقاقات بين العسكريين الحاكمين ، وكذلك بين الطائفة البوذية المستاءة من التحكم الكاثوليكي في الحكم، هذا فضلاً عن التقدم العسكري الملحوظ لجبهة التحرير الوطني .

وانطلاقاً من هذه العناصر وصل الاقتتاع الأمريكي إلى أن تدخل عسكرياً شاملاً هو المخرج لهم من هذه الحالة .

وجدت أمريكا الفرصة سانحة حين هوجمت بعض قاذفاتها البحرية من طرف قوات جبهة التحرير الوطني في خليج تونكين ، فما كان من الرئيس الأمريكي جونسون إلا أن اصدر الأوامر إلى الطيران العسكري الأمريكي بقصف المواقع الفيتنامية الشمالية كرد فعل لما أصاب الأمريكان .

ومنذ فبراير ١٩٦٥ توالى القصف الأمريكى لفيتنام الشمالية ، وفى ٦ مارس التالى تم أول إنزال للبحرية الأمريكية فى جنوب دانانغ ، وظل الوجود العسكرى الأمريكى يزداد فى فيتنام ليبلغ فى نهاية ١٩٦٥ ما يناهز ٢٠٠ ألف جندى ، ثم وصل فى صيف ١٩٦٨ إلى ٥٥٠ ألفاً ، وظلت أمريكا تضغط على هانوى من أجل ترك دعم الثوار الجنوبيين ، غير أن الأخيرة كانت ترفض أى تفاوض مع الولايات المتحدة ما دامت مستمرة فى قصفها المتواصل .

لم تترك أمريكا أى وسيلة عسكرية للضغط على هانوى إلا استعملتها بدءاً بالتجميع القسرى للسكان ومروراً بتصفية الثوار الشيوعيين الموجودين فى الأرياف الجنوبية واستعمال طائرات بي-٥٢ لتحطيم الغطاء النباتى ، وانتهاء بتكثيف القصف للمدن والمواقع فى الشمال لفيتنامى خاصة تلك الواقعة بين خطى العرض ١٧ و ٢٠ ومع ذلك لم يؤثر الرعب الأمريكى والآلة الحربية المتطورة فى معنويات الفيتناميين ولا فى مقاومتهم بل تفرقوا فى الأرياف ومراكز الإنتاج الزراعى وازدادت فيهم معنويات المقاومة . ولم تستطع أمريكا - رغم محاولاتها المستمرة - أن تقطع طريق " هو شى منه " الذى تمر منه الإمدادات نحو ثوار الجنوب .

فى أكتوبر ١٩٦٦ أعلن ممثلو أمريكا وحلفاؤهم المشاركون بجنودهم فى الحرب كاستراليا ونيوزيلاند وتايلاند وكوريا الجنوبية والفلبين فى مانايلا استعدادهم للانسحاب من فيتنام بعد ستة أشهر إذا ما خرجت فيتنام الشمالية من الحرب ، وهو إعلان رفضه الشماليون بصرامة ، ولم تثمر دعوة الرئيس الأمريكى جونسون للزعيم السوفيتى كوسيجين فى الضغط على هانوى لتنتهى الحرب حين التقيا فى يونيو ١٩٦٧ بل ظلت نيران الحرب مشتعلة ، فما كان من الرئيس جونسون إلا أن أعلن عزمه زيادة الجنود الأمريكيين فى فيتنام

ليصل عددهم عام ١٩٦٨ إلى ٥٢٥ ألفاً ، كما أصبح القصف الأمريكي للمواقع الشمالية قاب قوسين أو أدنى من الحدود الصينية .

ولم تتفع سياسة العصا والجزرة مع الفيتناميين ، حيث لم ترددهم هجمات الولايات المتحدة المتكررة وقصفها المتواصل كما لم تغرهم دعوات الرئيس جونسون للتفاوض ، فظلت الحرب مشتعلة وعدد الضحايا فى ازدياد .

ظلت المعارك خلال الحرب الفيتنامية تدور فى الجبال ، وهى استراتيجية اتبعها الفيتناميون المتكيفون أصلاً مع الأوضاع الطبيعية والمناخية الصعبة ، وفى ١٩٦٨ أطلق الجنرال الفيتنامى ما عرف بهجوم " نيت " (وهو اسم السنة القمرية الفيتنامية التى يحتفل بها منتصف فبراير من كل سنة) وهو مجموعة عمليات عسكرية شديدة استهدفت أكثر من مائة هدف ، وقد استطاع الثوار أن يتغلغلوا فى الجنوب حتى بلغوا عاصمة الجنوب سايجون فتعرض الأمريكيون للهجوم .

ومع أن الثوار الفيتناميين فقدوا حوالى ٨٥ ألف شخص فإن التأثير النفسى للمعارك كان بالغ الأثر على الولايات المتحدة .

فى ٣١ مارس ١٩٦٨ أعلن الرئيس جونسون وقف القصف الأمريكى لشمال فيتنام ، كما أعلن فى نفس الوقت تقدمه لولاية رئاسية ثانية ، ولم نصل إلى منتصف مايو من نفس السنة حتى بدأت المفاوضات بين الفيتناميين والأمريكان فى باريس .

لم يصل ريتشارد نيكسون إلى رئاسة الولايات المتحدة عام ١٩٦٩ حتى أعلن أن ٢٥ ألف جندى أميركى سيغادرون فيتنام فى أغسطس ١٩٦٩ ، وأن ٦٥ ألفاً آخرين سيجرى عليهم نفس القرار فى نهاية تلك السنة .

غير أنه لا الانسحاب الأمريكى من فيتنام ولا موت الزعيم الشمالى

هوشى منه يوم ٣ سبتمبر ١٩٦٩ أوقفا الحرب للضارية فمفاوضات بلريس
عرفت تصلب الفيتناميين الذين طالبوا وبإلحاح بضرورة الانسحاب الأمريكى
التام كشرط أساسى لوقف إطلاق النار .

ومع ما تكبدته أمريكا من خسائر بشرية ومادية ، ظهرت فى الشارع
الأمريكى دعوة إلى إنهاء الحرب الفيتنامية ، وتمثلت تلك الدعوة فى المظاهرات
المكثفة التى عمت المدن الأمريكية وفى الحملات الصحفية ، وزدادت قوة
الدعوة المطالبة بإيقاف الحرب عندما نشرت وسائل الإعلام الأمريكية
الممارسات البشعة واللاإنسانية التى عامل بها الجيش الأمريكى المواطنين
الفيتناميين ، ومن أشهر تلك المظاهر الوحشية إيلاء الملازم الأمريكى وليام كالى
للمننيين العزل فى قرية " ماى لاي " عام ١٩٦٨ ، وقد تمت محاكمته عسكرياً
عام ١٩٧١ .

ونشرت الصحافة الأمريكية وعلى رأسها جريدة نيويورك تايمز تقارير
حول الطريقة البشعة التى تمت بها الحرب الفيتنامية .

أخذت الحرب منحى خطيراً حين قامت فيتنام الشمالية يوم ٣٠ مارس
١٩٧٢ بهجوم كاسح نحو الجنوب داخل منطقة " كانغ ترى " متجاوزة بذلك
المنطقة المنزوعة السلاح ، وكان رد الفعل الأمريكى مزيداً من القصف
الجوى .

وبينما كانت نيران الحرب تشتعل بدأت المفاوضات السرية بين
الطرفين، حيث اجتمع مستشار الرئيس الأمريكى لشئون الأمن القومى يومها
هنرى كيسنجر بمنذوب فيتنام الشمالية دوك تو ... ومع انتعاش الأمل بالوصول
إلى حل نهائى وفى محاولة للضغط على الفيتناميين وكسب انتصارات ميدانية
تقوى من موقفه ، أمر الرئيس نيكسون يوم ١٧ ديسمبر ١٩٧٢ بقصف هانوى

ومايونغ ، فصبت طائرات بي - ٥٢ نيرانها على المدينتين فى قصف لم تعرف الحرب الفيتنامية نظيراً له ، وفقدت أمريكا ١٥ من هذه الطائرات كما فقدت ٩٣ ضابطاً من سلاح الطيران الأمريكى .

وأعلن فى ٢٣ يناير ١٩٧٣ عن التوصل إلى اتفاق وقف إطلاق النار الذى دخل حيز التنفيذ يوم ٢٨ من نفس الشهر ، ويتضمن الاتفاق توقف جميع أنواع العداء ، وانسحاب القوات الأمريكية من جنوب فيتنام خلال الشهرين التالين للتوقيع ، وإطلاق سراح الاسرى من الطرفين خلال ١٥ يوماً من التوقيع ، والاعتراف بالمنطقة المنزوعة السلاح بين الشطرين على أنها مؤقتة لا أنها حدود سياسية ، وإنشاء لجنة دولية (مكونة من ممثلين عن كندا والمجر وإندونيسيا وبولونيا) مكلفة بمراقبة تطبيق الاتفاق ، وبقاء ١٤٥ ألف جندى من شمال فيتنام فى الجنوب .

لم ينته مارس ١٩٧٣ حتى تمت مغادرة آخر جندى أميركى من فيتنام ، غير أن فضيحة ووترجيت التى أكرهت الرئيس نيكسون على الاستقالة يوم ٩ أغسطس ١٩٧٤ جعلت أمريكا غير قادرة على مساندة حكومة سايجون .

انتهز الشماليون فرصة انشغال واشنطن بووترجيت ومعاداة الرئيس الفيتنامى الجنوبى تيو للشيوخيين الجنوبيين ، فشنوا هجوماً كاسحاً على الجنوب محتلين مدينة فيوك بنه فى يناير ١٩٧٥ ، وتابعوا هجومهم الكاسح الذى توج بدخول سايجون يوم ٣٠ أبريل من نفس السنة .

وقد بلغت خسائر الفيتناميين خلال سنوات الحرب الثمانى مليونى قتيل ، و٣ مليون جريح ، و١٢ مليون لاجئ ، أما الأمريكيون فقد بلغت خسائرهم ٥٧ ألف قتيل ، و ١٥٣ ألف جريح ، و ٥٨٧ أسير .

لغز انتحار همنجواى

يعد ارنست ميلر همنجواى (١٨٩٩ - ١٩٦١) واحداً من أهم الروائيين الأمريكيين ، بعد انتهائه من الدراسة الثانوية رفض الالتحاق بالجامعة وحصل على عمل كمراسل صحفى بجريدة " الكانساس سيتى ستار".

عندما دخلت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب سنة ١٩١٧ ، كانت أمنية ارنست همنجواى الوحيدة أن يذهب إلى الجبهة ليشارك فى الحرب ، ولكن خلال الفحص الطبى تم رفض طلبه للالتحاق بالجيش بسبب مشكلة فى عينيه ، ومع ذلك لم يمنعه الأمر من الالتحاق بكتيبة سيارات الإسعاف .

بعد ثلاثة أسابيع من العمل مع فرق الإسعاف أصيب همنجواى بجروح من جراء شظايا قنبلة بإحدى المدن الإيطالية سنة ١٩١٨ ، ف قضى سنة أشهر فى المستشفى قبل أن تستقبله بلده استقبال الأبطال ، بعد أن عرف الجميع أنه أنقذ صديقاً له أصيب بجروح بليغة خلال إحدى المعارك .

لكن رجوع همنجواى إلى بلده لم يمكنه من الاستقرار والاندماج مرة ثانية فى الحياة الاجتماعية بهذه البلدة الصغيرة .

وفى سنة ١٩٢٠ تزوج همنجواى من سيدة تدعى هادلى ريتشاردسون

ثم رحل إلى باريس ، وهناك بدأت مسيرته لكي يصبح كاتباً وروائياً ، فتعرف على مشاهير الأدب والثقافة كجيرترود ستين ، وشروود اندرسون ، وازرا بلوند، وسكوت فيترجيرالد وغيرهم من الأديباء والفنانين الأمريكيين المقيمين بفرنسا ، وقد وجد لديهم كل مساندة وتشجيع وتقدير لكتاباته مما جعل اندرسون وفيترجيرالد يساعده على نشر مجموعته القصصية " في وقتنا " بالولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٢٥ ، لكن في سنة ١٩٢٦ نشر روايته " الشمس تسطع أيضاً " وبرز همنجواي كأحد الروائيين المتميزين بأسلوب رائع جميل .

بعد تلك استمرت كتبه في التآلق والانتشار ولقيت قصصه القصيرة حفاوة أكثر من رواياته ، وقد كان السبب حسب بعض النقاد تأثر قصصه بتقنية الأسلوب الصحفي المتميز بالوصف المباشر والحوار بأقل ما يمكن من تعليق للفاصل على الأحداث وتفسيره لها ، وفي سنة ١٩٢٩ ظهرت رواية " وداعاً للسلام " وهي رواية تظهر أن نسيج الحياة هو في الحقيقة مزيج من الموت والعنف أكثر مما تمثله تهديدات الحرب في هذه الحياة .

عكس أدب همنجواي تجاربه الشخصية في الحربين العالميتين الأولى والثانية والحرب الأهلية الأسبانية ، تميز أسلوبه بالبساطة والجمل القصيرة ، وترك بصمته على الأدب الأمريكي .

تلقي همنجواي جائزة بوليتزر الأمريكية في الصحافة عام ١٩٥٣ كما حصل على جائزة نوبل في الأدب في عام ١٩٥٤ عن رواية " العجوز والبحر " والتي تعتبر من انجح ما عرفته الساحة الأدبية خلال القرن العشرين .

وقد كتب الكثيرون عن الأسلوب المتميز والفريد لارنست همنجواي ، الذي كان بسيطاً وواضح المعالم بعيداً عن التتميق والزخرفة ، حيث كان يحكى قصصه بأسلوب صحفي مباشر ، ويقول همنجواي عن طريقته في الكتابة

"أعد أغلب أعمالى فى ذهنى ، ولا أبدأ أبداً فى الكتابة قبل أن تكون أفكارى منظمة ، وكثيراً ما أقوم بتلاوة نصوص من الحوار بالطريقة التى ستكون عليه عند كتابتها ، إنى أومن بأن الأذن هى أحسن مراقب وحكم ، ولا أكتب أى جملة على الورق قبل أن أتيقن بأن الطريقة التى تم التعبير عنها ستكون مفهومة وواضحة تمام الوضوح للجميع " ... هذه هى طريقته فى الكتابة ، وهذا هو أسلوبه الفريد الذى اكتسبه من خبرته فى الصحافة ، والذى كان له أكبر الأثر فى الأدب القصصى الأمريكى وأكسبه شهرة عالمية تعدت حدود جميع القارات .

فى آخر حياته انتقل للعيش فى منزل بكوبا ، حيث بدأ يعانى من اضطرابات عقلية دفعته لمحاولة الانتحار فى ربيع عام ١٩٦١ ، وتلقى العلاج بالصدمات الكهربائية ، وبعد حوالى ثلاثة أسابيع من إكماله الثانية والستين من العمر وضع حداً لحياته بإطلاق الرصاص على رأسه من بندقيته عام ١٩٦١ فى منزله ، ومما يذكر أن لأسرة همنجواى تاريخاً طويلاً مع الانتحار ، حيث انتحر والده (كلارنس همنجواى) أيضاً ، كذلك أختاه غير الشقيقتين أورسولا وليستر ، ثم حفيدته مارغاوك همنجواى .

حرب الاستنزاف

لا يكتمل التقديم الصادق لحرب الاستنزاف إلا بمراجعة ما صدر بشأنها من جانب قادة إسرائيل حيث يقول الجنرال عيزرا وايزمان الذى كان قائداً لسلاح الجو الإسرائيلى من ١٩٥٨ - ١٩٦٦ ، ومستشاراً لرئيس أركان الجيش الإسرائيلى فى حرب أكتوبر ، ورئيساً لإسرائيل من ١٩٩٣ - ٢٠٠٠ فى كتابه " على أجنحة النسور " : " انتهت حرب الاستنزاف دون أن تجد إسرائيل حلاً لمشكلة صواريخ الدفاع الجوى المصرية ، لقد فشلنا فى تدمير شبكة الصواريخ، إن حرب الاستنزاف التى سالت فيها دماء كثيرة لأفضل جنودنا مكنست المصريين من اكتساب حريتهم على مدى ثلاث سنوات للتحضير لحرب أكتوبر العظمى عام ١٩٧٣ . وعلى ذلك فإنه قد يكون من الغباء أن نزعم بأننا كسبنا حرب الاستنزاف ، فعلى العكس كان المصريون - رغم خسائرهم - هم الذين حصلوا على أفضل ما فى تلك الحرب ، وفى الحساب الختامى فسوف تذكر حرب الاستنزاف على أنها أول حرب لم تكسبها إسرائيل ، وهى نفس الحقيقة التى مهدت الطريق أمام المصريين لشن حرب يوم كيبور ."

حرب الاستنزاف هو التعبير الذى أطلقه الرئيس المصرى الراحل جمال عبد الناصر على العمليات العسكرية التى دارت بين القوات المصرية والاحتلال

الإسرائيلي شرق قناة السويس ، والتي نقلت مصر خلالها المعركة إلى مواقع العدو بعد أن نجحت في مرحلة الصمود ومنع العدو من احتلال أراض جديدة ، وكان الهدف الأساسي من تلك الحرب هو إسقاط أكبر عدد ممكن من القتلى والجرحى والآليات في صفوف العدو وتدريب الجنود المصريين على عمليات قتالية في شرق القناة تمهيداً للحظة العبور ... وبدأت حرب الاستنزاف في مارس ١٩٦٩ ، وانتهت بموافقة عبد الناصر على مبادرة وزير الخارجية الأمريكي روجرز لوقف إطلاق النار في ٨ / ٨ / ١٩٧٠ .

كان الهدف المحدد لحرب الاستنزاف هو إعادة الثقة للجنود في أنفسهم وفي قادتهم والحفاظ على الروح المعنوية للمقاتلين ، وإيقاء مسألة احتلال إسرائيل للأرض العربية في قائمة المشاغل الدولية ضمناً لاستمرار الاتحاد السوفيتي في الإمداد بالأسلحة والمعدات الأكثر تطوراً ، ووضع إسرائيل تحت ضغط مستمر بسبب الخسائر التي تتكبدها على جبهة قناة السويس ، ورفع معنويات الشعوب المصرية والعربية وتهيئة الظروف المناسبة للانتقال إلى مرحلة العمليات الهجومية ، والحفاظ على إرادة القتال واكتساب الكفاءة القتالية الميدانية وتطوير الخطط الحربية تبعاً لتغيير العوامل المؤثرة عليها ، والحصول على المعلومات عن العدو والأرض عن طريق الاستطلاع ، وهذه كلها يتعذر تنفيذها بغير القتال الفعلي ، والحصول على المعلومات الخاصة بتدابير الحرب الإلكترونية الإسرائيلية من خلال العمليات الاستطلاعية والأنشطة القتالية لتحسين وتطوير القدرات القتالية ، وإتاحة الفرصة للقوات المصرية للاشتباك الفعلي بالعدو الإسرائيلي لكسر حاجز الجهل به ، وهو ما شكل إحدى الركائز الأساسية لنجاح حرب أكتوبر ١٩٧٣ فيما بعد .

كان لابد أن تصمم القاهرة على استئناف القتال في أقرب وقت ممكن لأن إسرائيل في غضون ذلك كانت تتسج نسيجها الخاص ، فقد بدأت في تشييد

خط بارليف وهو عبارة عن سلسلة من الدفاعات والمواقع الحصينة على امتداد قناة السويس ، وعلى الرغم من أنه في جوهره كان سلسلة إجراءات دفاعية إلا أن أحداث خريف ذلك العام برهنت على أنه محاولة إسرائيلية لتثبيت الحدود عنده وفرض الوضع القائم ربما إلى الأبد ، ونظر عبد الناصر إلى الخط على أنه تأكيد لاعتقاده بأنه لا أمل في الحل السياسى ما لم يدرك العدو أن مصر بمقدورها مواجهته ، وإجباره على الانسحاب من خلال القتال ، ومن هنا جاء قرار إحياء الخط القتالية ، وفى ٨ مارس ١٩٦٩ فتحت القوات المصرية نيران مدافعها مجدداً عبر القناة ، وأعلن متحدث باسم الحكومة المصرية أنها لم تعد مقيدة بوقف إطلاق النار ، وكان ذلك هو المناخ الذى استشهد فيه الفريق عبد المنعم رياض رئيس الأركان وسط جنوده على الجبهة فى حدث هو الأول من نوعه فى تاريخ العسكرية العربية الحديثة .

ولقد تضمنت حرب الاستنزاف هجمات متعددة ضد الاحتلال فى سيناء، وحتى فى مناطق خارج منطقة الصراع تماماً ، وقد لفت النظر أن ما أصاب السلاح البحرى الإسرائيلى من خسائر على امتداد عمره وقعت كلها خلال حرب الاستنزاف فقط ، بدءاً بإغراق المدمرة إيلات ومروراً بتدمير الحفار "كيتينج" وتحطيم السفينتين المسلحتين "داليا" و "هيدروما" ، ثم ناقلة الجنود "بيت شيفع" فالغواصة "داكار" ، ثم السفينة التجارية "بات يام" وسفينة أبحاث البحرية ، وانتهاء بقصف ميناء إيلات ثلاث مرات متتالية ، فلولا حرب الاستنزاف لظلت البحرية الإسرائيلية تتباهى بأنها السلاح الذى لم يتعرض لخسائر قط.

لقد سطر أبطال " المجموعة ٣٩ قتال " بقيادة العميد إبراهيم الرفاعى الذى استشهد فيما بعد فى حرب أكتوبر أسمائهم فى سجل التاريخ بالنظر إلى المهام الخطيرة التى أوكلت إليهم وتم تنفيذها بنجاح خلال حرب الاستنزاف،

وكانت تلك المجموعة تضم خيرة مقاتلي الصاعقة والضفادع البشرية ، وأذقت جيش الاحتلال الإسرائيلي الويل والأهوال وسببت لجنوده حالة هستيريا دائمة حتى أنهم كانوا يحاولون الوصول بأية وسيلة إلى معلومات عن تلك المجموعة وأساليب عملها ، بل أنهم حددوا أسماء ثلاثة من رجال المجموعة للوصول إليهم أحياء أو أموات وهم الشهيد ايراهيم الرفاعي والقائد الثاني للمجموعة الدكتور على نصر ثم المقاتل الفذ على أبو الحسن الذى شارك فى ٤٤ عملية خلف خطوط العدو فى حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر .

فى رد وحشى على خسائره فى حرب الاستنزاف ، قرر العدو الإسرائيلى فى ٦ يناير ١٩٧٠ إدخال السلاح الجوى الإسرائيلى إلى المعركة ، وزعمت رئيسة وزراء إسرائيل جولدا مائير أن الطريقة الوحيدة لمنع المصريين من تحرير سيناء هى ضرب العمق المصرى بعنف ، ودخل الطيران الإسرائيلى بكل ثقله مدعوماً بالمقاتلات الحديثة من طراز سكاى هوك والفانتوم والميراج ليبدأ بمهاجمة القوات العسكرية فى البداية ثم انتقل إلى الأهداف المدنية ، نظراً لأن السياسة التى اتبعتها السوفيت عقب نكسة ١٩٦٧ كانت تقضى بتزويد مصر بأسلحة دفاعية وعدم تزويدها بأسلحة متقدمة فقد فرضت إسرائيل سيطرتها الجوية ليس فقط على الجبهة ولكن على مصر كلها .

ونفذ الاحتلال الإسرائيلى العديد من الهجمات الجوية خلال الفترة من يناير حتى إبريل عام ١٩٧٠ م وبلغ إجمالى طلعات الطيران ٢٨٣٨ طلعة جوية، وخلال هذا التصعيد ارتكبت مقاتلات الاحتلال الإسرائيلى جريمتين بشعنتين وهما الغارة الجوية على مصنع أبو زعبل والآخرى على مدرسة بحر البقر فى ٨ إبريل ١٩٧٠ ، الأولى تسببت بمقتل ٧٠ عاملاً وإصابة ٦٩ آخرين وزعمت إسرائيل أنها وقعت بطريق الخطأ والآخرى تسببت بمقتل ٣١ طفلاً وجرح ٣٦ آخرين .

لذلك بدأ التنفيذ لبناء شبكة الصواريخ بالجبهة وتم حشد كميات هائلة من المواد الهندسية لتنفيذ بناء مواقع الصواريخ ، وصلت إلى ٣٠ مليون متر مكعب من أعمال الحفر والردم و٣ ملايين متر مكعب من الخرسانة ومئات الكيلومترات من الطرق ، واشترك في البناء معظم شركات المقاولات المصرية مع زملائهم من ضباط وجنود القوات المسلحة واستمرت إسرائيل في مهاجمة قواعد الصواريخ الجارى إنشاؤها واستشهد العديد من رجال وشباب القوات المسلحة والمهندسين والعمال من شركات المقاولات وسالت الدماء على أرض مصر فى سبيل تحرير الأرض واستكمال تنفيذ بناء القواعد .

وفى صباح يوم ٣٠ يونيو ١٩٧٠ تم استكمال مواقع الصواريخ على طول الجبهة وكانت المفاجأة الكبرى لإسرائيل ، فقامت فى نفس اليوم بهجوم جوى بعدد ٢٤ طائرة مقاتلة وكانت النتيجة تدمير أربع طائرات وأسر ثلاثة طيارين ، ولذا أطلقت المعاهد الاستراتيجية العالمية على الإنجاز المصرى أسبوع تساقط الفانقوم ، واستمرت المحاولات الإسرائيلية لتدمير شبكة الصواريخ ، وخلال ٣٨ يوماً وحتى وقف إطلاق النار فى ٧/٨/١٩٧٠ كانت خسائر الجانب الإسرائيلى هى تدمير ١٧ طائرة وإصابة ٣٤ طائرة أخرى .

وفى آخر اجتماع للمجلس الأعلى للقوات المسلحة فى شهر أغسطس ١٩٧٠ ، أعاد الرئيس جمال عبد الناصر التأكيد بكل وضوح على أن أحد الأسباب الرئيسية التى دفعته إلى قبول مبادرة روجرز كان إتمام دفع حائط الصواريخ إلى حافة القناة لتهيئة أرض المعركة للعملية الهجومية التى سوف يأمر بها فور انتهاء الفترة المتفق عليها لوقف النيران لاقتحام القناة واجتياح حصون خط بارليف ، والاستيلاء على رؤوس الكبارى وتأمينها تحت سماء لا تملك إسرائيل - ولأول مرة - السيادة الجوية عليها .